الدرس الثالث

نظرية أفعال الكلام

ارتبطت التداولية منذ نشأتها على مبدأ أفعال الكلام لذا يعد الفعل الكلامي محور الدرس التداولي،[1] و يعود الفضل إلى "فلسفة اللغة العادية"، الذي نشأ مكرسا مبدأ ظاهرة الأفعال الكلامية و يعدها مسألة طبيعة اللغة، فاشتغلت على المعاني العادية التي تتحول وفق مقامات الأحوال،وحتى نوضح أبعاد هذه النظرية لا بد أن نقف عند مشروع "أوستين الذي يعد مؤسس هذه النظرية،التي تجمع الدراسات اللسانية أنها جاءت كردة فعل لأصحاب "الوضعية المنطقية" ضانين أن للغة وظيفة واحدة أنها تصف الواقع بصدقه تارة و بكذبه تارة أخرى أو ما يعرف عند "أوستين" بالمغالطة الوصفية" أي أن اللغة ليست نقل الخبر ووصف الحال، بل إنّ هناك أفعالا تنجز في الواقع وتبدل قناعات الأفراد واعتقاداتهم بمجرد التلفظ بها، فإحداث التلفظ هو إنجاز لفعل وإنشاء لحدث".[2]
.من هنا يمكن أن نميز بين أفعال الكلامالتي قد تكون أفعالا تقريرية (Acte Constatif):أي هي أقوال وأفعال تخضع إما للصدق والكذب مثل أخرج من القاعة.

) أفعال ترتبط ببعض الشروط لضمان نجاح Acte Performatif أو أفعال انجازية التواصل وتحقق الانجاز عن طريق التلفظ، بحكم أن اللغة ترتكز على أسئلة استفهامية أو تعجبيه أو،أمرية وأساليب الترغيب والترهيب،و التمني.و الخلاصة أن البحث التداولي إذا يدرس اللغة بالتركيز على مجالات وسياقات استعمالاتها؛ يهتم أيضا بعلاقة المتخاطبين هذا، إلى جانب اهتمامها بالجوانب الشكلية للأبنية اللسانية والدلالية.
ومنه، فإن التداولية تحاول حل الإشكالات التي تعرفها اللغة، لأن البنية لم تعد كفيلة لتفسير وفهم اللغة ومستعمليها. التداولية من هذا المنظور هي مبحث لساني يهتم بدراسة الكيفيات التي بفضلها يفهم المخاطب و المتكلم أفعالا خطابية تواصلية تأتي بفضل الحوار و المحادثة ثم الكشف عن الأسباب التي تتضام لتفرز تواصلا ناجحا بين المتلقين أثناء عملية التواصل. من هنا يسعى البحث التداولي إلى وضع استراتجية و مبادئ أي حوار مرتبطا طبعا بالمقام اثناء إنتاج الكلام فالمشروع التداولي بهذا الطرح فن استعمال اللغة مجالاته الاستعمال بالدرجة الأولي،و كيفية تأويل الكلام . إن كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية،وكذا اكتساب ملكة لغوية من الركائز التي تؤهل المتكلم

([18]) فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([19]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

تبليغ الرسالة.و ضمان التواصل مع المخاطبين مستوى الدرس الدلالي وهو ما اصطلحت عليه المدرسة الأمريكية بالملكة اللغوية التبليغية،ينظر -compétence de communication

الأفعال الكلامية (الأعمال الكلامية):

يرتبط موضوع الأفعال الكلامية بالدرس اللساني التداولي ارتباطا وثيقا ،من هنا فقد ابرز المتخصصون في ما ألفوه في الدرس اللساني إلى أن نظرية أفعال الكلام من أهم مباحث الدرس التداولي ،و الفضل في ذلك راجع حسب فن دايك إلى فلسفة اللغة العادية التي نشأ في حضنها أبعاد أفعال الكلام حيث ركزت على المعاني العادية التي تتغير بتغير المقام و الأحوال[3] ،ويعد اللغوي البارز في نظرية أفعال الكلام الباحث أوستين حين خالف الذين ينظرون للغة على أن وظيفتها نقل الواقع ووصفه بالصدق،أو الكذب،فاللغة ليست وظيفتها نقل الخطاب، وتبليغ السامع عبر الموجات الصوتية ،بل هناك أحداث لغوية تنجز حسب قناعات الأفراد،ومعتقداتهم،و بهذا تكون اللغة إنجازا للأفعال، وإنشاء للأحداث أثناء التلفظ.[4]

ويقسم أوستين أفعال الكلام إلى قسمين :

1. الأفعال التقريرية (Acte Constatif): وهي كل الأقوال والأفعال التي تخضع للصدق والكذب

2. الأفعال الإنجازية أو الإنشائية(Acte Performatif):وهي الأقوال أو الأفعال التي ترهن ببعض ضمان النجاح الذي يحققه الفعل الذي تسميه أي انجاز،إلا أنه أعاد ترتيب أفعال الكلام من منظور التوفيق و عدم التوفيق [5].

وإن الفلسفة التي اعتمادها اوستين في تقسيمه لأفعال الكلام ترتكز أساسا على القوة الإنجازية،و بناء عليه قدم تصنيفا وظيفيا للأفعال الكلامية:[6]

الأفعال الدالة على الحكم ،والأفعال الدالة على الممارسة ،وأفعال الوعد ،و أفعال السلوك.

([1]) فان ديك،النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر: عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2000م ص:125

([2]) جون اوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قنيني، ،الدار البيضاء، إفريقيا الشمالية، ،1991،ص:17

([3]) محمود أحمد نحلة، افاق جديدية في البحث اللغوي المنعاصر، دار المعرفة الجامعية،مصر،2002،ص:44

[4]عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، ط2003،1،ص:158-159

نظرية أفعال الكلام عند سيرل

تجمع اللسانيات التداولية و بخاصة فيما يتعلق بأفعال الكلام أن التشابه الملحوظ بين الطرح الذي قدمه أوستين وسيرل في العديد من المسائل اللغوية و الفلسفية،فإذا كان أوستين يعتمد على القوة الإنجازية فإن سيرل يذهب أن كل ملفوظ يشتغل كفعل مدد الأطر كالفعل الأمر و الوعيد و الاستفهام ...و أن المكون الأساسي في كل ذلك هو القوة الإنجازية،فنحن عندما نتلفظ بأي لفظ كان تتحدد أربعة أفعال نوجزها في :

- الفعل التعبيري

الفعل القضوي:بفضل الإحالة إلى النرجع.

الفعل الغرضي:طريقة استعمال التعبير.

الفعل التأثيري:وهو تشخيص نتائج تأثير الأفعال الانجازية [7].

وقد نتج عن هذا التفريع للفعل الكلامي ،لأفعال كلامية مباشرو،ز أفعال كلامية غير مباشرة. [8]لذلك أجمع الدارسون على أن نظرية أفعال الكلام عند سيرل ويمكن أن نجملها فيما يلي إلى خمسة أفعال كلامية تقوم عل: -إثباتيات (Les Assertives- وعديات (LesCommisives) توجيهيات (Les Directives- تعبيريات (Les Expressives- إعلانيات (Les Declaratives)

أما عن الأفعال الكلامية غير المباشرة فيمكن تلخيصها فيما ذكره عبد الهادي بن ظافر الشهري" على أنها:"إستراتيجية لغوية تلميحية يعبر عنها المتكلم عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي لخطابه فيعبر عنه بغير ما يقف عند اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق".[9]

والخلاصة مما سبق يمكن القول أن التلفظ بالكلام هو في حقيقته إنجاز كلامي يستند على نظام دلالي تأثيري مستلزما سياقا يقوم على توجيه المعنى،و التأثير في المتلقين.

([7]) خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،ص:99

([6])علي محمود حجي الصراف في البراجماتية، ، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة،دراسة دلالية ومعجم سياقي،مكتبة الآداب، القاهرة،(ط1)،2008ص:98

([1]) عبد الهادي بن ظافر الشهري،استراتيجيات الخطاب،ص:370

: مفهوم الفعل الكلامي:

لقد أخذ جون أستين "الفعل الكلامي" عن الفلسفة التحليلية عموما، وفلسفة فتجنشتاين على الخصوص. ثم طوره تلميذه ج. سيرل فيما بعد.

"وبالرجوع إلى ما كتبه الفيلسوفان ج. ل. أوستن وتلميذه ج. سيرل حول هذا المفهوم اللساني- التداولي الجديد، فإن الفعل الكلامي" يعني التصرف (أو العمل) الاجتماعي أو المؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام، ومن ثم "فالفعل الكلامي يراد به الانجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة... فهذه كلها " أفعال كلامية.

لقد أحدثت الفلسفة التحليلية نقدا للمنعطف الفلسفي الكلاسيكي، مقترحة في ذلك نظرة جديدة للقضايا الفلسفية، ثم إحداث تغييرات في المنطق الصوري، فكانت النتيجة أن تم خلق منطق جديد حتى تكون لغته رياضية ملائمة لفهم وتفسير القضايا الفلسفية. وعموما؛ فإن الفلسفة التحليلية نشأت كرد فعل على الفلسفة القديمة، ثم رد الاعتبار إلى اللغات الطبيعية بمعزل عن اللغات الصورية الاصطناعية. وتتفرع هذه الفلسفة إلى اتجاهات متعددة، من أبرزها:

أ- الفلسفة الوضعية المنطقية: بزعامة رودولف كارناب؛ إذ اهتمت بالجانب المنطقي الصوري للغة؛ أي الاهتمام باللغات الصورية المنطقية الاصطناعية عوض اللغات الطبيعية، ولعل هذا العزوف عن اللغة الطبيعية نجم عنه إبعاد هذا الاتجاه الفلسفي من أن يكون مصدرا للتداولية؛ لأن هذه الأخيرة تدرس اللغات الطبيعية وليس اللغات الصورية.

ب- الظاهراتية اللغوية:

إن الظاهرة اللغوية هي اتجاه من اتجاهات الفلسفة التحليلية تزعمه إدموند هوسرل، إلا أنها قد تم إبعادها من التيار التداولي لعدة اعتبارات، بالرغم من أنها مصدر لمبدأ " القصدية" الذي وظفه أوستين في نظرية الأفعال الكلامية.

وبهذا الصدد يقول مسعود صحراوي :

أما الظاهراتية اللغوية phénoménologie langage فيؤخذ عليها أنها انغمست في البحث في أطر فكرية أعم من الكينونة اللغوية إذ راحت تتساءل عن قطب "الأساس" وهو بداية الحدث اللساني في أعماق الوجدان، وهو الذي يسميه سوسير " المرحلة السديمة، والتي هي مرحلة ذهنية ما قبل- وجودية، فهي في غاية التجريد، ولا علاقة لها بالاستعمال اللغوي، ولا بظروف استخدام اللغة، ولا بأحوال أطراف الحوار، ولا بملابسات التواصل، ولا بأغراض المتكلمين". كل هذه الأسباب جعلت الظاهراتية اللغوية تعد خارجة عن الإطار التداولي.

ج- فلسفة اللغة العادية: يتزعم هذا التيار الفيلسوف فتجنشتاين؛ إذ أن موضوع هذه الفلسفة الأساسي هو اللغة باعتبارها حلا لجملة المشكلات الفلسفية. يقول مسعود صحراوي:

"والمادة الأساسية للفلسفة عند فتجنشتاين هي اللغة، فكان يرى أن جميع مشكلات الفلسفة تحل باللغة، فاللغة هي المفتاح السحري الذي يفتح مغاليق الفلسفة، بل كان يعتقد أن الخلافات والتناقضات المنتشرة بين الفلاسفة سببها الأساسي سوء فهمهم للغة أو إهمالهم لها، وراح يطور فلسفته الجديدة التي توصي بمراعاة الجانب الاستعمالي في اللغة، هو الذي يكسب تعليم اللغة واستخدامها(10) ثم لقي تراث فتجنشتاين اهتماما من لدن فلاسفة أوكسفورد، على رأسهم: أوستين وتلميذه سيرل.

لقد نشأت نظرية الأفعال الكلامية مع جون أستين في مناخ فلسفي فكري؛ حيث إنه قسم الأفعال الكلامية إلى:

فعل كلام، وقوة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام.

فالقول لم يعد يقف عند الإخبار ونقل المعلومات، وإنما أضحى يقدم أفعالا ويضم مقاصد، ومن بين الأفعال: النهي، والأمر، والاستفهام...الخ. كما أن أستين ميز ما بين الأفعال الكلامية الإنشائية والخبرية. إن القول عند أستين ينطلق من النطق بأصوات وأقوال إلى تحقيق أهداف إنجازية كالأفعال الذي ذكرناها أنفا. ثم ينتقل إلى إحداث تأثير في نفس المتلقي يتعلق برد فعله، من خلال القبول أو الرفض.

2-2: نظرية المحادثة:

"ينطلق بول غرايس من تصور خاص للتواصل الشفهي، حيث يرى أن المتخاطبين يخضعون ويلتزمون، أثناء ممارسة عملية التبادل الكلامي، ببعض المبادئ العامة. ويروم ب. غرايس بافتراض هذه المبادئ أمورا منها:

أ- أن الجمل الخبرية لا تخضع كلها لشروط الصدق والكذب كما ساد الاعتقاد من قبل بعض النظريات.

ب- توضيح كيفية اشتغال آليات التأويل التي تجعل المؤول ينتقل من الشكل اللغوي الحرفي إلى ما تتضمنه الملفوظة من معنى (أو معان).

ج- فحص الإطار النفسي- المنطقي الذي يقع فيه التبادل الكلامي". انطلاقا من هذا النص نستشف أن التواصل الشفهي، لدى بول غرايس يخضع لمجموعة من القواعد العامة يلتزم بها المتخاطبون أثناء ممارسة عملية التبادل الكلامي.

لقد عرفت أعمال بول غرايس تطورا من خلال اقتراحه لمبدأ التعاون الذي يشترك فيه المتخاطبان.

- التضمن:

"مفهوم التضمن كما حدده غرايس يعني إجراء حساب المفهوم الذي يضعه المخاطب، انطلاقا من تلفظ المتكلم ومن حكم المحادثة التي يراعيها مجموع المتكلمين في إطار ثقافي معين(نحو قاعدة الكمية، أو قاعدة الاستقصاء التي تعني أن نقول كل ما نعرف.
لقد صاغ غرايس مجموعة من القواعد التي تدخل ضمن مبدأ التعاون:
أ- قاعدة الكم: وهي يرى أن المتخاطبين يخضعون ويلتزمون، أثناء ممارسة عملية التبادل الكلامي، ببعض المبادئ العامة. ويروم ب. غرايس بافتراض هذه المبادئ أمورا منها:
أ- أن الجمل الخبرية لا تخضع كلها لشروط الصدق والكذب كما ساد الاعتقاد من قبل 2-3: نظرية الملاءمة:
يعود أصل هذه النظرية إلى علم النفس المعرفي، ومبدؤها الأساس؛ هو الدعوة إلى ضرورة الأخذ بالاعتبار نفسية المتلقي، وبالتالي؛ فإنها تؤكد على ملاءمة المعلومة نفسية المتلقي.

وفي معرض حديث الدكتور عن الفرق الجلي بين المنهج البنيوي والمنهج التداولي، يوصّف التداولية بأنها: ÷...ليستعلماً لغوياً محضاً بالمعنى التقليدي ، علماً يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة ، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ؛ ويدمج من ثمّ مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة " التواصل اللغوي وتفسيره".

إن التداولية إذا تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم ، كما يعنى هذا التخصص من جانب آخر بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث . ومن هنا جز لنا القول إن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات "الحوار" أو"الملكة التبليغية compétence de communication"، والتي تقابل الملكة اللغوية الصرفة عند "تشومسكي. " وبالاستناد إلى هذه التعريفات تغدو التداولية العلم الذي يدرس الأفكار والمعاني والألفاظ والمفاهيم والإشارات ، وكل ما له علاقة بالاستعمال اللغوي . وبعبارة جامعة نقول إن التداولية هي أداة للتفسير والنقد معا ، تبدو قيمتها في اعتبارها وسيلة معرفية نلجأ إليها لتعيننا على فهم ومعرفة وتمييز هل أن ما نبحث فيه له قيمة ومعنى أم ليس له ذلك ؟ .كما أننا نتمكن بواسطتها من قياس درجة الصحة والخطإ في المواضيع التي ندرسها . ثم هل هي جديرة بان تأخذ منا الجهد والوقت في البحث عن خصائصها أم لا ...؟.

للتفصيل ينظر المراجع الآتية:

1- مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة و-الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ط5، 2005

2-- خديجة بوخشة: محاضرات في اللسانيات التداولية الفصل الخاص بأفعال الكلام

3- عيسى بربار الموسومة البحث التداولي في النص الشعري الجزائري

4-.على آيت أوشان ، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ط1-1421هـ.2000/

5-اللسانيات والمنطق ، حوار مع د/طه عبد الرحمن ، دراسات سيميائية لسانية أدبية ، العدد الثاني ، 1987 - 1988 ، المغرب

6-ظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة ، محمد أديوان ، جامعة الرباط ، كلية الآداب

مجلة ، (تداولية ـ لسانية مقاربة) الإبداع لمنظومة المعرفي الأساس ، الحناش محمد- . اللساني التواصل
واللسانيات التداولية ، الثامري عادل.

7- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم،الجزائر 2007.